الأسرة المسلمة

أسس ومبادئ

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الدار المصرية اللبنانية طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLI SHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

الأسرة المسلمة

أسس ومبادئ

تأليف
الدكتور
عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

بســـم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، الذى أرسل الرسلَ مبشرينَ ومنذرين ، وجعلهم الأسوة الحسنة والقدوة الطيِّبَة فى السلوك الفاضل والخلق النبيل ، وجعلَ لهم أزواجًا وذُرِّيَّةً ، قال عَزَّ من قائل : ﴿ ولقد أرسلنا رُسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريةً ﴾ (١) .

ثم الصلاة والسلام الأكملان الأتَمَّان على سيدِ ولد آدم ، سيدنا محمد النبى الأمين ، الذى بيَّن للأمة قولًا وعملًا أن حياة الأسرة ركيزةٌ من ركائز استقرار المجتمع واستمراره ، حيث حرَّض على الزواج وحث عليه ، عن أنس – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ –: « تَزَوَّجُوا الوَدُودَ فإنى مُكاثِرٌبكم الأنبياء يوم القيامة » (٢) . كما حذَّر من العُزُوبة ونفَّر منها ، حتى ولو كانت بدافع التبتل والانقطاع للعبادة ، فعن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله – ﷺ –: « إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة » .

وبعـــد ...

فإن الأسرة نظام إنسانى أكَّدَ الإسلام ضرورته ، فهى اللبنة الأساسية فى بناء المجتمع ، وقد أوْلتها شريعة الإسلام السمحةُ من الرعاية والاهتمام ما يجعلها

---

(١) سورة الرعد : ٣٨ .
(٢) رواه الطبرانى وأحمد والبيهقى وابن حبان .
(٣) رواه البيهقى .

تثبوأ المكانة اللائقة بها ؛ لتنطلقَ نحو آفاق أرْحب من العزة والكرامة والعمل الصالح المفيد ، فهى آية من آيات الله ، يقول الله – تعالى –: ﴿ ومن آياته أنْ خَلَق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مَوَدَّةً ورحمة إنَّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١) .

ففى ظل توجيهات الإسلام السامية ، ومبادئه الحانية ، تقوم الأسرة على أسس متينة ، قوامُها الاختيارُ السليمُ ، والنظرة الموضوعية الصادقة ، التى لا يجنح بها الخيالُ الحالم ، ولا تستبدُّ بها الطموحات غير المتناهية ، وإنما تعتمد على أرض الواقع الملموس ، حيث لا زيفَ ولا خداعَ ، وإنما صراحة وصدق واقتناع ، فالمنهج الرَّبانى لا يختلف مع الفطرة البشرية ، ولكنه يأتلف معها ويُسَاوِقُهَا ، ويتدرج بها فى مدارج السُّمو البشرى والكمال الإنسانى فى شتى مجالات الحياة وميادينها ، ومسالكها ودروبها ، وبقدر ما يتمسك الناس به من هذه القيم بقدر ما تكون سعادتهم فى الدنيا والآخرة .

ولقد سعدت الأُسرةُ المسلمةُ فى صدر الإسلام وفى عهد الخلافة الراشدة ؛ لأنها الْتزمت السَّيْرَ على هذا المنهج القويم ، فكان جهد كل من الأبوين منصبًّا على تربية الأبناء ، بتنشئتهم على الدين ، وترغيبهم فى حب الله وتقواه ، بغرس الفضائل فى نفوسهم ، كما كان اختيار كل من الزوجين لرفيق الدرب وشريك الحياة اختيارًا أساسه التدين الصحيح والقرب الصادق من الله ، عملًا بالتوجيه النبوى الكريم : « إذا أتاكم من تَرْضَوْنَ دينه وخُلُقَه فأَنكِحُوه (زوِّجوه) ، إلَّا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفسَاد عريض » (٢) .

كما لم يكن أحد من أفراد تلك الأسرة يلوى على شىء سوى طاعة الله ، والأخذ بمنهجه الذى ارتضاه لعباده أسلوبًا للحياة ، قال الله – تعالى –:

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذى ، وحسَّنه الترمذى .

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد ضَلَّ ضلالًا مُبِينًا ﴾ (١) . ومن هنا جاءتهم الدنيا راغمة ، ففى الحديث القدسى : « يادنيا من خدمَنِى فاخْدُمِيه ، ومن خدمك فاستخْدِميه » (٢) . وهكذا تعمقت هذه المفاهيم وتلك القيم فى نفوس الناس ، وتوارثها خَلَفُ الأمة عن سَلَفِها ، فعاشوا عيشة كريمة ، ونَبَغَ منهم خلقٌ كثير ، كما أصبحوا للناس رَادَةً وقَادَة ، بل وأصبحوا فى جبين الدهر شامة ، وأعز الله بهم دينه ، ومَكَّنَ لأُمة الإسلام على أيديهم ، فتركوا لنا معيناً لا ينضبُ من التراث الحضارى الأصيل .

وحينما ننظر إلى واقع الأسرة المسلمة الآن ، نجدها قد تعرضت لموجات من الفتن والمغْريات العصرية ، التى هبت على ديار المسلمين ، ووفدت إلى مجتمعاتهم باسم المدنية ، فى صورة ألوان من الخلاعة والابتذال والسُّفور ، وكلها عوامل تنذر بالانحلال والذَّوبان ، ولقد أثرت تلك الفتن فى تماسك الأسرة واستقرارها ، فخمدت جذوة الإيمان فى النفوس – إلَّا من رحم الله – وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غَيًّا ﴾ (٣) . ومما يزيد الأمر تعقيدًا ، أن رياح هذا التغيير لا تتوقف على فئة بعينها ، وإنما يمتد الزحف ليشمل مختلف الفئات ، فأهل الريف وأهل الحضر فى هذا الخطب سواء .

وعليه فقد اندفع الغيورون على دينهم وعلى أوطانهم إلى معالجة هذا القصور ، والتصدى لتيارات التغريب ، فشرعوا أسِنَّة أقلامهم بكتابات جيدة تضع الحق فى نصابه ، وتغمد سيف الباطل فى جِرابه ، وهذه الكتابات فى جملتها

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .
(٢) الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية .
(٣) سورة مريم : ٥٩ .

لا يستغنى بعضها عن بعض ، فما يوجز القول فيه كاتب يطنب فيه آخر ، هذا فضلًا عمَّا تصطبغ به تلك الكتابات من ألوان مردها مَشَارِبُ الكُتَّابِ وتخصصاتهم ، فمن كان متخصصًا فى الفقه ، فإنه يغلب عليه الإغراق فى إيراد الأحكام مقرونة بأدلتها واستنباطاتها ، وقد يجره ذلك إلى الزج بالقارئ – وقد يكون غير متخصص – فى خلافات الفقهاء وآرائهم ، ومن كان متخصصاً فى العلوم الاجتماعية والتربوية تجده يصب أفكاره فى قوالب لغوية واصطلاحات فنية تتمشى مع منهجه وخلفيته العلمية ، وكل ذلك يزيد القضية صعوبة ، فضلًا عمَّا يكتنف اقتناء ذلك كله من جهد ومشقة .

وقد استعنت بالله – تعالى – محاولا الإدلاء بدلوى فى الدِّلاء ، فطوفتُ فى رحاب الأسرة المسلمة ؛ لأرسم لها صورة مثالية من خلال الرؤية الموضوعية العصرية ، التى تستنير وتأتنس بتوجيهات الإسلام الحنيف ، من حيث تشخيص الداء ، ووصف تذكرة الدواء ، كى تستعيد الأسرة المسلمة فى الحاضر عزَّها الخالد ، ومجدها التالد ، ويتبوأ أفرادها مكانتهم المرموقة فى دنيا الناس ، وتلك محاولة صادقة لإعادة صياغة الإنسان المسلم على أساس من هَدْيِ السماء ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين * يهدى به الله مَنِ اتبع رضوانه سُبُلَ السلام ويُخرجهم من الظلمات إلى النور بإذْنِهِ ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم ﴾ (١) . والاقتداء برسول الله – ﷺ – فهو الأُسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، والنموذج الإنسانى الرفيع لمكارم الأخلاق ، يقول الله – تعالى –: ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخِر وذَكَرَ الله كثيراً ﴾ (٢) .

---

(١) سورة المائدة : ١٥ و ١٦ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

والتأسى بالأفعال الكريمة ، والأخلاق الحميدة للصحابة الأجلاء ، والعلماء الفضلاء ، فهم النماذج التى صاغها الإسلام على حب الخير والعمل به ونشره وإذاعته ، وفيهم يقول أحدهم ، وهو الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود : « من كان متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله – ﷺ – فإنهم كانوا أبَرَّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقَها علمًا ، وأقلَّها تكلفاً ، وأقومها هديًا ، وأحسنَها حالًا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفُوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » .

ورتبت هذا الموضوع على مقدمة وخمسة فصول ، بيانها كالتالى : المقدمة : ويتضح من خلالها أهمية تناول هذا الموضوع .

الفصل الأول : ويشتمل على عرض دقيق لواقع النظام الأُسرى لدى المسلمين وغيرهم .

الفصل الثانى : ويعنى برسم ملامح المنهج الإسلامى فى بناء الأسرة .

الفصل الثالث : ويتعلق ببيان حقوق كل من الزوجين قِبَل الآخر .

الفصل الرابع : ويختص بوضع ملامح حقوق كل من الأنباء والآباء قِبَل بعضهم البعض .

الفصل الخامس : ويختص ببيان بعض جوانب المنهج الإسلامى فى تربية الشباب .

وقد توخيت فى عرض هذا الموضوع يُسْر العبارة ، ودقة التركيب ، مع البعد عن الإغراق فى المصطلحات الفنية ، فى إيجاز غير مخل ، تحاشيًا للإطناب المُمِلّ ، أمَلًا فى إخراج هذا الموضوع بحجم يناسب سهولة اقتنائه ، فضلًا عن اصطحابه فى الحِلّ والترحال ، فخير صديق فى الحياة كتاب ، كما حاولت قدر الطاقة ووسع الجهد الإلمامَ بجوانب هذا الموضوع تسهيلاً للمعرفة لدى طلابها .

فإن كنت قد وُفِّقت إلى ما تصْبو إليه النفس ، فذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء ، وإن كانت الأُخرى فحسبى أننى اجتهدت ...

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى ميزان الحسنات ، لى ، ولوالدىَّ ، ولأصحاب الحقوق علىَّ ، ولمن عمل على نشره وإذاعته وإبرازه إلى حَيِّزِ الوجود .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور عبد الحكم عبد اللطيف أحمد الصعيدى
الأستاذ بكلية الزراعة – جامعة الأزهر
القاهرة

ضاحية مدينة نصر فى رمضان ١٤١٢ هـ
مارس ١٩٩٢ م

الفصل الأول

واقع النظام الأسرى

أوّلاً : واقع النظام الأسرى لدى غير المسلمين :

لكى نستطيع الوقوف على جلية الأمر فى هذه القضية ، لا بد لنا من التعرف على عنصرين أساسيين : أحدهما : طبيعة نظرة المجتمعات (مسلمة وغير مسلمة) للمرأة كشريك فعّال فى تكوين الأسرة .

والثانى : فلسفة الأسرة كنظام اجتماعى لدى هذه المجتمعات أيضاً على مر العصور ، وهو ما نريد مناقشته على النحو التالى :

أولًا : واقع النظام الأسرى لدى غير المسلمين :

(أ) المرأة :

لقد كانت نظرة تلك المجتمعات على اختلاف مِلَلِهَا ونِحَلِهَا – على مر العصور – نظرة تتسمُ بالعُنف والعَسْف والقسوة ، ومجانبة الصواب فى الغالب الأعم من الأحيان ، أما إذا حظيت المرأة بنظرة إنصاف ، وذلك بطبيعة الحال فى القليل النادر ، فإن ذلك لا يعدو أن يكون ضرباً من المبالغة والمغالاة ، وخير شاهد على ذلك ما فعله قدماء المصريين عندما بالغ بعضهم فى تكريم المرأة إلى حد أنهم ألّهوا « إيزيس » ، ونصّبوا « حتشبسوت » ملكة وحاكمة عليهم ، وحتى تكتمل الصورة أمام ناظرينا ، فإليك أخى القارئ مقتطفات من الجور النفسى والمادى الذى لاقته المرأة فى دنيا الرجال على مر التاريخ :

١ – نظرة الإغريق للمرأة :

لقد بات الإغريق ينظرون إلى المرأة على أنها مخلوق وضيع منحط ، لا تصلح إلا للنسل وتدبير المنزل ، لا على أنها سيدة ، ولكن على اعتبار أن وظيفتها لا تعدو وظيفة الجارية المملوكة .

٢ – المرأة فى نظر اليونان :

تنحصر نظرتهم إلى المرأة فى أنها مثار للشهوة فحسب ، ولا سلطان لها على أنوثتها .

٣ – المرأة عند بعض طوائف اليهود والنصارى :

كانوا ينظرون إليها على أساس أنها شرٌّ من الأفاعى والأوبئة وسائر الشرور ، ولا تعدو فى نظرهم مرتبة الخادم أو الجارية المملوكة ، حيث كانت تُباع وتُشترى ، وهى مع كل هذا شرٌّ لا بد منه .

٤ – المرأة فى جاهلية العرب :

ولقد بلغ هوان المرأة ذروته فى جاهلية العرب هذه ، فلقد كانت تُقْبَرُ على قيد الحياة ، بصورة لا تعدو أن تكون عدواناً على البشرية فى أضعف صورها ، عدوانًا يَسْتَثيرُ الشفقة ، إلى الحد الذى رأينا فيه الألم يعتصر فؤاد رسول الله – ﷺ – عند سماعه لإحدى هذه الفظائع ، فضلًا عن مشاهدتها ، فقد رُوِىَ أَنَّ رجلًا من أصحاب النبى – ﷺ – كان لا يزال مغتمًّا بين يدى النبى ، فقال له الرسول : « مالك تكون محزونًا ؟ » فقال : يارسول الله إنى أذنبتُ ذنبًا فى الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله وإنْ أسلمت . فقال له : « أخبرنى عن ذلك » فقال : يارسول الله إنى كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فَوُلِدَتْ لى بنت فَتَشَفَّعَتْ إلَّى امرأتى أن أتركها ، فتركتها حتى كبرت وصارت من أجمل النساء فخطبوها ، فدخلتنى الحمِيَّة ، ولم يحتمل قلبى أن أزوِّجها أو أترُكَها فى البيت بغير زوج ،

فقلت للمرأة : أنى أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا فى زيارة أقربائى فابْعثيها معى ، فَسُرَّت بذلك ، وزَيَّنَتْهَا بالثياب والحلى ، وأخذَت علَّى المواثيقَ بألّا أخونَها ، فذهبتُ بها إلى رأس بئر ، فنظرتُ فى البئر ، فَفَطِنَتْ الجاريةُ أنى أريدُ أن ألقِيَها فى البئر ، فالْتَزَمَتْنى (أى ضَمَّت نفسَها إلَّى) وجعلت تبكى وتقول : يا أبتِ ، أىَّ شىء تريد أن تفعل بي ؟ فَرَحِمْتُهَا ، ثم نظرتُ فى البئر فدخلت علَّى الحِميةُ ، ثم التزمتنى وجعلت تقول : يا أبت لا تضيع أمانَة أمى ، فجعلتُ مرةً أنظر فى البئر ، ومرة أنظر إليها فأرْحمُها حتى غلَبَنى الشيطانُ ، فأخذتُها وألقيتها فى البئر منكوسةً ، وهى تنادى فى البئر : يا أبتِ قَتَلْتَنِى ، فَمَكَثْتُ هناك حتى انقطع صوتُها فرجعت ، فبكَى رسَول الله – ﷺ – وأصحابُه وقال : « لو أُمِرْتُ أن أعاقبَ أحدًا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك » (١) .

كما سجَّل القرآن الكريم عليهم تلك البشاعة فى عدة مواضع :

قال الله – تعالى :

﴿ وكذلك زَيَّنَ لكثير من المشركين قَتْلَ أولادِهم شُركاؤُهم لِيُرْدُوهُم وليلبسوا عليهم دينهم ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فذَرْهُم وما يفترون ﴾ (٢) .

وقال – جل ذكره –:

﴿ وإذا بُشِّرَ أحدُهم بالأُنثى ظل وجهه مُسْوَدًّا وهو كظيم * يتوارَى من القوم من سُوء ما بُشِّرَ به ، أيمسكه على هُونٍ أم يدسُّه فى التراب ، ألاساء ما يحكمون ﴾ (٣) .

---

(١) تفسير القرطبى : جـ ٧ ص ٩٦ وما بعدها .

(٢) سورة الأنعام : ١٣٧ .

(٣) سورة النحل : ٥٨ و ٥٩ .

وقال – تقدس اسمه –:

﴿ وإذا الموءودةُ سُئِلَتْ * بأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (١) .

وقال – عز من قائل –:

﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سَفَهاً بغير علم وحَرَّمُوا ما رزقهم اللهُ افتراءً على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ (٢) .

(ب) واقع الأسرة فى النظم القديمة :

لقد كانت العلاقة الأسرية فى النظم القديمة علاقة فردية ، فلم تكن العلاقات الزوجية بين الرجل والمرأة فى كثير من المجتمعات غيرَ قضاء للشهوة الحيوانية وإنجابٍ للبنين ، وذلك راجعٌ إلى نظرة تلك المجتمعات للمرأة أولا وقبلَ كل شىء ، وهو ما سبق أنْ ألمحْنا إليه ، وحتى تتضح لنا تلك العلاقة جليةً فَسَنُورِدُ جانبا من النماذج التى توضحها فيما يلى :

١ – واقع النظام الأسْرى لدَى الإغريق :

كانت المرأة الوَلود تُؤْخَذُ من زوجها بطريق العارية (الهبة) لتنجبَ للوطن أولادًا من رجال آخرين غيرِ زوجها ، وكانت قِمَّة المهزلة فى ذلك الوضع الشائن المتردى تتمثل فى إعدام تلك المرأة إذا أنجبت طفلًا دميمًا ، وكأنها ليست مخلوقاً تجرى عليه تصاريف القَدَر ، وإنما هى التى تخلق الأبناء والبنين !!

٢ – واقع النظام الأسرى فى جاهلية العرب :

ونستطيعُ إدراكَ ذلك الواقع المهين بسهولةٍ إذا علِمْنا قُبْحَ نظرتهم إلى النكاح ، وأنهم إنما يَصِمُونَ المرأة بالمهانة إذا أنجاها القَدَر من غائلة الوأد حال

---

(١) سورة التكوير : ٨ و ٩ .

(٢) سورة الأنعام : ١٤٠ .

الصغَر ؛ ولهذا فقد تعدَّدَت صورُ نكاح المرأة الواحدة فيما يعرف بـ « أَنكِحَة الجاهلية » .

عن عروة بن الزبير أن عائشة – رضى الله عنها – أخبرته أن النكاحَ فى الجاهلية كان على أربعة أنواع :

الأول : يَخطب الرجلُ إلى الرجلِ مولِيَّتَهُ أو ابنته فيُصْدِقُهَا (أى يؤدى صداقها أو مهرها ، ثم يَنْكِحُها (يتزوجها) .

الثانى : كان الرجل يقول لامرأته إذا طَهُرَتْ من طَمْثِهَا (حيضها) أَرْسِلِى إلى فلان فاسْتَبْضِعِى منه (أى اطلبى منه الولد) ويعتزلها زوجُها حتى يتبيَّنَ حملُها ، فإذا تبيَّنَ أصابها زوجُها إذا أَحَبَّ ، وإنما يفعل ذلك رغبةً فى نَجَابَةِ الولد ، ويُسَمَّى هذا النوعُ من النكاح : « الاسْتِبْضَاعُ » .

الثالث : يجتمع الرَّهْطُ ما دُونَ العشرة ، فيَدخلونَ على المرأةِ ، كلُّهُم يُصيبُها ، فإذا حَمَلَتْ ووضعت ومَرَّ عليها ليالٍ أرسَلَتْ إليهم ، فلم يستطعْ رجلٌ أن يمتنع حتى يجتمعوا عندَها ، فتقولُ لهم : قد عَرَفْتُم ماكانَ من أمْرِكم ، وقد وَلَدْتُ ، فهوَ ابنُك يافلانُ ، وتُسَمِّى من أحبَّت باسمه ، فيلحَقُ به ولدُها ، لا يستطيعُ أن يمتنع منهُ الرَّجُلُ .

الرابع : يجتمع ناسٌ كثيرون فيدخلونُ على المرأة ، لا تمتنع عمن جاءها ، وهُنَّ البَغَايَا ، ينْصِبْن على أبوابهن راياتٍ تكون عَلَماً ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت جُمِعُوالها ودُعُوا القَلَفَه ثم أَلْحَقُوا وَلَدها بالذى يَرَوْن فالْتَاطَ به (نُسِبَ إليه) ودُعِىَ ابنُه ، لا يمتنع من ذلك .

فلما بُعث محمد – ﷺ – بالحق هَدَم نكاحَ الجاهلية إلا نكاحَ الناس اليوَم [1] .

---

(١) رواه البخارى .

ومع هذا الوضع المتردى فقد كانَت هناك بعض الأفكار الإنسانية المعتدلة ، التى تدعو إلى معاملة المرأة معاملة كريمة ، يتَسَنَّى معها إقامةُ أسرة طيبة ، ويتَّضح لنا ذلك من خلال النصيحتين التاليتين :

• **نصائح « بتاح حوتب » أحد قدماء المصريين :**

وفيها يقول : إذا أصبحتَ رجلًا ذا مركز فأقِمْ لك بيتاً (أى تزوج) ، وأحِبَّ زوجَتَك فيه حبًّا خالصًا ، أعطها كفايتها من الطعام واللباس ، واشْتَرِلها العِطْر ، وأعِدَّ لها الزيتَ ؛ لأن فيه شفاء أعضاء جسمها ، واجعلها سعيدةً ما دمت حيًّا ، فإن المرأة مرآةٌ لزوجها ، ينعكس فيها ما يبذله فى سبيل سعادتها ، لاتكنْ خشناً فى بيتك ، فاللين يحرك قلب المرأة ، والغلظة تنفِّرُها (١) .

• **قوانين « حمورابى » فى بابل :**

وفيها يقول : إن الزواج ليس إلا تعاقدًا بين الرجل والمرأة ، وإنه ليس للرجل أن يتزوجَ بأكثر من واحدة ما لم تكن عاقرًا أو مريضة بمرض لا أمل فى الشفاء منه ، والرجل مسئول عن ديونها التى تستدينها ، وعن البيت الذى تأوى إليه ، وعن الميراث الذى يتركه لها ولأولادها (٢) .

(جـ) واقع الأسرة فى النظم الحديثة :

لقد أضْحَتْ الأسرة فى المجتمعات الحديثه مفككة الأوصال ، وَاهِيَةَ العُرَا ، فهى أوْهَى من بيت العنكبوت ؛ ذلك لأن الحرية قد تحولت فيها إلى استهتار بالقيم الإنسانية ، واستخفاف بأبسط مواصفات الكرامة البشرية ، فانتشرت الفاحشة بين الأبناء بعد استفحالها بين الآباء ، وعمت صور الطلاق والمخادنة وفوضى الإجهاض ، كما طفَحَتْ تلك المجتمعات باللُّقَطاء ، وإليك أخى

---

(١) انظر حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها .
(٢) المرجع السابق .

القارئ طرفاً من الإحصاءات التى تناولت هذه الفوضى الأخلاقية ، وهذا العبث الأسرِىِّ :

١ – يوجد فى المجر وحدها ٣٠ مليوناً من حالات الإجهاض سنويًّا ، وهو ما يعادل حالة إجهاض واحدة فى كل ثانية زمنية .

٢ – اكتشفت الشرطة فى اليابان أكثر من ٢٠٠ جريمة قتل أولاد بأيدى أمهاتهم تخلصًا من تبعاتهم ، وذلك فى عام ١٩٨٦ م .

٣ – فى مقاطعة « السين » بفرنسا ، كان واقع الأسرة كما يلى :

(أ) بلغت حالات فسخ النكاح ٢٩٤ حالة فى يوم واحد .

(ب) بلغ عدد المطلقين ١٣ مليون حالة فى عام ١٩٨١ م .

(جـ) بلغ عدد اللقطاء ٥٠ ألف لقيط فى عام ١٩٠١ م

٤ – أما عن واقع الأسرة فى « فرنسا » بصفة عامة فكان كما يلى :

(أ) بلغت نسبة الزوجات اللاتى لا يرغبن فى الإنجاب ٩٠٪ .

(ب) كان ارتباط الشباب والفتيات بآبائهم كما يلى :

- بلغت نسبة الشباب الذين يجهلون كل شىء عن والديهم ٧٠ ٪ .
- بلغت نسبة الشباب الذين انقطعت علاقتهم بآبائهم برغم علمهم بهم ٢٠٪ .
- بلغت نسبة الشباب الذين يتمتعون بعلاقة حسنة مع والديهم ١٠٪ [1] .

ونحن ندرك من خلال هذه الصورة وغيرِها مدى ما وصلت إليه الروابط الأسرية فى تلك المجتمعات من فردية وذاتية وانحلال وذوبان ، إنها بحق وصدق

---

(١) مجلة الأمة ، عدد (٧٠) السنة السادسة .

صورة قاتمة ، تنبئ عن خطر فادح وخطْب أليم مُنِيَتْ به البشرية فى تاريخها الحديث ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ ظهَر الفسادُ فى البر والبحر بماكسبت أيدى الناس ﴾ (١) . ويمكننا مطالعة هذه الصورة واضحة جلية على قسمات وجه شيخ أو أم عجوز ، لمحت عيناها قطةً أو كلبًا فانحنتْ تداعبه بكل عطف ورقة وتربتُ ظَهْرَهُ ، فقد وجدت فيه ضالتها المنشودة ، وبُغْيَتَهَا المفقودة ، وقد ترقرقت فى عَيْنَيْهَا دموع الأَسَى والحسرة على تلك العلاقات المفقودة فى دنيا البشر ، وكثيراً ما تنشأ صداقات حميمة بين الإنسان وبين هذه الحيوانات وغيرها ، كالحمير ، كما يتفننون فى الإغداق عليها عطاءً وحُبًّا ورعاية ، فيوفرون لها من أسباب الراحة الشىء الكثير ، مما لا يظفر به – فضلًا عن أن يحلُم بمثله – كثير من الناس ، ولم ينته بهم الأمر إلى هذا الحد ، بل إنهم أسسوا الجمعيات الخيرية لرعاية هذه الحيوانات ، وأغْدَقَ الخيرون عليها تبرعاتهم ، بغرض رعايتها وتحسين مستويات معيشتها ، كما أنشئوا لبعضها المقابر الخاصة التى تضم رُفَاتِهَا ، بل وجنح بهم الخيال إلى مطالبة حكوماتهم بجعل هذه الأماكنَ أماكن أثرية ليفيد منها البشر .

إن البشرية قد ارتكست وانتكست ، واختلطت عليها أوراق كل شىء ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ (٢) .

ولكى تتضح لنا معالم هذه الصورة الهزلية أكثر وأكثر فإننى أسوق لك أخى القارئ مقتطفاتٍ من مقالات بعض الصحف السيارة ، ثم نتبع ذلك بالتعليق والتعقيب على نحو ما يلى :

---

(١) سورة الروم : جزء من الآية ٤١ .

(٢) سورة التين : ١ – ٦ .

• **الحمير تكسب فى بريطانيا :**

نشرت جريدة أخبار اليوم فى يوم السبت ١٩٨٩/١٠/٢١ م مقالًا تحت العنوان السابق ، وجاء فيه : تؤكد الدراسات أن الحمير أحسن حظًّا وأسعد حالًا من الإنسان فى بريطانيا ، فهى تفوز بنصيب الأسد من التبرعات التى يمنحها أثرياء إنجلترا فى وصاياهم للأعمال الخيرية . فقد تأسست إحدى جمعيات الرفق بالحمير منذ نحو ٢٠ عامًا فى مدينة « دنفون » وتلقت هذه الجمعية تبرعات من ٥٨٢ شخصاً خلال عام ١٩٨٨ قُدِّرَتْ بحوالى ٢,٢ مليون جنيه استرلينى ، وبما أن هذ الجمعية ترعى ٤ آلاف حمار ، فإن نصيب الحمار الواحد من هذه التبرعات يصل إلى ٥٥٠ جنيها إسترلينيًّا (حوالى ٢٢ ألف جنيه مصرى) . وتقول مديرة الجمعية : إن خدماتها تمتد للحمير فى الدول الأخرى مثل : كينيا ، وأثيوبيا ، حيث تعتمد شعوبها على الحيوانات القوية فى القيام بأعمالهم ...

كما قامت فى ألمانيا الغربية جمعية أصدقاء الحمير التى تَبَنَّتْ قضية غريبة ، حيث أثبتت للحمار الذكاء ونفت عنه الغباء !! كما يعلن بعض المتبرعين عن وقف ثرواتهم للحيوانات بدلا من الأقرباء ؛ لأن الناس – وخصوصًا أقاربهم – يُهْمِلُوْنَهُمْ فى أواخر أيامهم ، أما الحيوانات فتمنحهم الصحبة الحلوة والمتعة بدون انتظار مقابل .

وتشير الإحصائيات إلى أن جمعيات رعاية الحيوان قد حصلت مجتمعة خلال عام ١٩٨٨ على أكثر من ٢٢ مليون جنيه إسترلينى (حوالى ١٢٨ مليون جنيه مصرى) ، فى حين تلقى مركز أبحاث السرطان مبلغ ١٢,٧ مليون جنيه إسترلينى فقط .

وتلقت جمعية رعاية الكلاب المستخدمة لإرشاد المكفوفين ١٢,٨ مليون جنيه إسترلينى فى نفس العام ، وتلقى مستشفى علاج الحيوانات مبلغ ٨,٨ ملايين جنيه إسترلينى ...